

تقريب العلوم وتصحيح المفاهيم
(1)

جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع العاشر
لجنة الدعوة

إصلاح العقيدة

بقلم
سعد ندا
المدرس بالجامعة الإسلامية

بإشراف إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام





بسم الله الرحمن الرحيم

إصلاح العقيدة
(هو المنطلق لكل إصلاح)

إنّ الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. .

أما بعد: فإن خير الكلام كلامُ الله تعالى، وخير الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرُ الأمور محدثاتها.

وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار. .

أيها الإخوة الكرام:

أحمد الله تبارك وتعالى أن هداني إلى الاهتمام بالعقيدة وقضاياها، وأسأل الله عزّ وجل أن يثبت قلوبنا على العقيدة الصحيحة، عقيدة أحسن رفقة، عقيدة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - وحسن أولئك رفيقًا.

ومما وفقني الله تعالى إلى معالجته من القضايا قضية إصلاح العقيدة، وجعلت لها عنوانًا هو (إصلاح العقيدة هو المُنْطَلَق لكل إصلاح)، فمنه تعالى أستلهم الرشد والعون، وهو جل وعلا قدير، وبالإجابة جدير. .

أيها الإخوة الأحباب:

جالت بخاطري في هذا الموضوع مجموعة من النقاط، أوجزها فيما يلي:

[1] عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» [رواه البخاري ومسلم].

والركن الأول من أركان الإسلام يشكل أصلين عظيمين يكونان العقيدة الصحيحة للمسلم الذي ينبغي أن تكون قاعدة راسخة تقام عليها أعماله حتى تصح جميعًا:

الأصل الأول، هو توحيد الله تعالى: في ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، وفي ألوهيته، ذلك بأنه البارئ المصور الرزاق المعطي المانع المحيي المميت المدبر لأ



أمر هذا الكون كله، وبأنه المتسمي بالأسماء الحسنى وصفات الكمال العليا، كما سمى ووصف نفسه ووصفه رسوله - صلى الله عليه وسلم - بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وبأنه المستحق وحده لجميع أنواع العبادة، فلا يصرف شيء منها لغيره جل وعلا.

وهذا الأصل الأول - وهو توحيد الله عز وجل - معناه: لا إله إلا الله. والأصل الثاني: وهو توحيد شرع الله تعالى: ومعناه أن لا يحكم في حياة الناس إلا شرع واحد هو شرع الله عز وجل، ذلك بأنه هو الأعلم بمن خلق، وبما يصلح لهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

ولهذا كان من لطفه ورحمته بهم أن سَنّ لهم شرعًا يصلح لهم في كل حالاتهم وعصورهم وأمكنتهم، ولا يوجد البتة أعظم ولا أرفع ولا أحكم من حكمه تعالى فيما شرع: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

وكما أن العبادة لا ينبغي أن تكون إلا لله، كذلك فإن الحكم لا ينبغي أن يكون إ لا لله، وقد أشار تعالى إلى هذا في قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40].

وهذا الأصل الثاني - وهو توحيد شرع الله عز وجل - معناه: محمد رسول الله كما أسلفتُ ومن ثم يتبين أن توحيد الله تعالى، وتوحيد شرعه معناه (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وديننا العظيم - دين الإسلام - هو الذي ارتضاه الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، والذي لا يقبل من أحد سواه فقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)﴾ [آل عمران: 85]، هذا الدين لا مدخل إليه أبدًا إلا من باب التوحيد، فلا يبدأ أمره إلا بلا إله إ لا الله محمد رسول الله، ومن يريد أن يدخله لا يجد له بابًا ينفذ إليه منه سوى باب التوحيد، فلو دخل أحد من غير هذا الباب، فإنه ينفذ إلى دين آخر غير دين الإسلام.

ومن ثم تظهر الأهمية البالغة في أن نلفت الناس إلى الولوج إلى الإسلام من بابه الوحيد الذي لم يشرع الله الدخول إليه إلا منه، وهو باب التوحيد، فمن دخل من غيره وظن أنه دخل الإسلام فليسارع إلى الخروج من المنفذ الذي نفذ



منه، ويولي وجهه شطر باب التوحيد، ذلك أن كل سعي للوالج من غير باب التوحيد باطل، مهما كان كمُّه، الإسلامُ لا ينظر إلا إلى كيفية عمل العامل لا إلى كمية عمله، وقد اعتبر الإسلامُ عملَ الداخل من غير باب التوحيد شركًا، فأبطله جميعه، ولو مات صاحبه مُصِرًّا عليه مع اعتقاده، لَحُرِمَ الجنة ، وصارَ إلى النار، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[المائدة: 72]، ويقول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار» - فضلًا عن ذلك فإن الله لا يغفر هذا الإصرار على الشرك إذا كان نهاية صاحبه، فيقول جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48].

ولهذه الأهمية البالغة للتوحيد بأصليه الذي يكوّن عقيدة المسلم، كان لزامًا على كل داعية أن يبدأ دعوته به. فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله - وفي روايته ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». ويتبين من هذا الحديث - وخاصة الرواية الأخيرة توحيد الله عز وجل، وتوحيد شرعه.

ولذلك كان أول ما دعا إليه الرسل جميعًا أقوامَهم إليه توحيد الله عز وجل - وقد أجمل الله تعالى ذلك في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: 25]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: 36].

وفصل تعالى ذلك في مثل قوله عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأعراف: 59 - 60]، ورد نوح على اعتداء قومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: 61 - 62]، وقوله تعالى عن هود - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَإِلَى عَادٍ



أخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة الأعراف: 65 - 66]، ورد هود على اعتداء قومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [سورة الأعراف: 67 - 68].

وقوله تعالى عن صالح: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: 73]. فلم يطيعوه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: 79].

وقوله تعالى عن شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: 85].

فلم يطيعوه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: 93].

وقوله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة: 4].

وقوله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: 140].

فلم يطيعوه - فقال: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: 104].

وقوله تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة: 117].

وقوله تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر: 65 - 66].

ودعا قومه إلى توحيد الله عز وجل فعجبوا من ذلك: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا



لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [سورة ص: 4 - 5].

وقد مكث الرسول - صلى الله عليه وسلم- في مكة ثلاثة عشر عامًا لا همّ له إلا تأسيس العقيدة، والدعوة إليها، وترسيخها في قلوب أصحابه.

ولما هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وبدأت آيات التشريع والأحكام تتن-زل عليه، وجدتْ قلوبَ أولئك الصحابة الكرام مُعبّدة لأوامر الله تعالى، ومستعدةً لقبول أحكامه والإذعان لها.

لقد تشبعت قلوبُ الصحابة- رضي الله عنهم - بعقيدة التوحيد بأصليها العظيمين (توحيد الله تعالى، وتوحيد شرعه)، وكانوا حراسًا عليها، حتى إذا ما أحسوا انحرافًا قليلًا عنها شَدّدُوا عليه النكير. ومن أمثلة ذلك:

أن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -، دخل مسجد الكوفة، فرأى حلقًا، وفي وسط كل حَلَقةٍ كُومًا من الحصى، ورجلًا قائمًا على كل حلقة يقول لهم:

(سبحوا مائة، فيسبحون مائة، احمدوا مائة، فيحمدون مائة، كبروا مائة، فيكبرون مائة) - فقال: لهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

(يا قوم، والله لأنتم على ملة هي أهدى من ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو مقتحمو باب ضلالة)، وكلامه إليهم معقول، لأنهم بفعلهم ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم إما أن يكونوا: أهدى منه، وهذا محال، وإما أنهم افتتحوا بابًا جديدًا للضلالة بالابتداع. فقالوا: «والله يا أبا عبدالرحمن ما أدرنا إ لا الخير»، فقال لهم «وكم من مريد الخير لم يبلغه» - فهؤلاء القوم لم يُحَوّلْ ص لاحُ نياتهم عملَهَم المبتدع إلى عمل مشروع. فـالله تعالى لا يُعبد إلا بما شرع - فكما أن العبادة لا ينبغي أن تُصرف إلا له وحده، كذلك لا ينبغي أن يتخذ إلى عبادته إلا شرعَهُ وحده.

ولذلك وضع الرسول صلى الله عليه وسلم لنا مبدأ قَطَعَ فيه الطريق على كل من تُسوّل له نفسُه المَسَاسَ بتوحيد شرع الله تعالى، فقال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، ذلك أن العبادات بنصوصها توقيفية لا مجال لإعمال العقول في شيء منها بأي لون من ألوان الاجتهاد، إلا فقهًا في نص اتباعًا ابتداعًا.

وقد روى البخاري ومسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا يمشي في الحج بين رجلين يسندانه فقال: «ما هذا؟ فقالوا: «يا رسول الله نذر أن يحج ماشيًا» فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عن تعذيب هذا نفسه



لغنيٌ، مُرُوهُ فَلْيَرْكبْ».
وَرأى الرسول صلى الله عليه وسلم رجلًا آخر يجلس في الشمس، فسأل عنه، فقالوا: «يا رسول الله نذر أن يصوم، ولا يتكلم، ويجلس في الشمس»، فقال صلى الله عليه سلم «ليتم صومه، وليتكلم، وليجلس في الظل».
وجاء ثلاثة نفر إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته، فلما أُخْبِرُوا كأنهم تقالّوهَا، فقال أحدهم: وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس ثم قال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أما إني أعلمكم بالله، وأتقاكم لله، وأبركم، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مني». [أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما].
هذه هي عقيدة التوحيد: توحيد الله عز وجل، وتوحيد شرع في معنى لا إله إلا الله، محمد رسول الله.
(2) إذا تبينت أهمية عقيدة التوحيد على هذه الصورة، فإن آثار هذه العقيدة تظهر واضحة في عمل الفرد وسلوكه. ذلك بأن العقيدة وعاؤها القلب ومستقرها ، وكل وعاء لا ينضح إلا بما فيه، فوعاء العسل لا ينضح إلا عسلًا، ووعاء الخل لا ينضح إلا خلًا. ومن ثم إذا كانت العقيدة التي عُقِدتْ في القلب وَرُبِطَتْ فيه، سليمةٌ، سَلِمَتْ بها حركات الجسم كله وسكناته، لأنها هي التي تهيمن على الجسم وتدبر دَقّتت.
وبناءٌ على ذلك لا يتحرك أي عضو من أعضاء الجسم ولا يسكن بما يخالف ما شرع الله تبارك وتعالى، أما إذا كانت العقيدة التي تثبتت في القلب عقيدةً فاسدةً، نتج عن ذلك تخبطٌ وانحراف في حركات الجسم كله وسكناته. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [سورة الأعراف: 58].
وذلك معناه أن العمل والسلوك يتبعان العقيدة ما يتبع الظِلُ العودَ، ولا يمكن أن يستقيم الظل ما دام أن العود أعوج.
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ



قرار * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: 24 - 25 - 26 - 27].

معنى العقيدة الصحيحة:

ويمكنني أن ألخص في إيجاز معنى العقيدة الصحيحة في أنها تعني أن يستقر في القلب (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، ويجري على اللسان حركةً بهما، وعلى الأعضاء والجوارح تنفيذً لمقتضاهما، بمعنى أن يتحقق التوحيد بنوعيه:

توحيد الله عز وجل وتوحيد شرعه - علمًا وقولًا وعملًا. وليس معنى التوحيد، كما يظنه غالبية المسلمين مجرد قول «لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، بـ اللسان فحسب، مهما لجأوا إلى غير الله تعالى في دعاء، واستغاثة، واستعانة، وتوكل، وخوف، وإنابة، ورجاء، وذبحٍ ونذرٍ، وحلف، وتعظيم وإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته بالتحريف، والتعطيل، والتكييف، والتمثيل، والتشبيه ، ومهما حكموا بغير ما أنـزل الله، وشرعوا ما لم يأذن به الله، فحللوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله.

وليس معنى التوحيد كذلك، ما يظنه كثير من المسلمين، الاعتقاد بأن الله هو الخالق البارئ المصور الرزاق المعطي المانع المحيي المميت المدبر لأمر هذا الكون كله فحسب، لأن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قال تعالى مبينًا وضعهم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: 31].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 84 - 89].

ومع هذا الاعتقاد لم يدخلهم ذلك في التوحيد، واعتبروا باقين على شركهم، ولم يؤمنوا بتوحيد الأسماء والصفات ولا بتوحيد الألوهية، بل كذبوا بالحق وكذبوا على الله، فقال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 90 - 91].



وعجبوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم إلى توحيد الألوهية ليفردوه جل وعلا في عبادته فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص: 5].

إنما العقيدة الصحيحة هي إفراد الله تعالى في ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، وفي ألوهيته، وفي شرعه، ومن ثم يَتَجرّدُ القلب لله تعالى وحده تجريدًا تتحطم أمامه الطواغيت بكل أنوعها أحياءً وأمواتًا، وَيتَخَلّصُ من شوائب الشرك وضلالات البدع، وحكم الطغاة والذل لسلطان المتجبرين المتكبرين من البشر، ومشاغل الحياة الدنيا التي تفسد إخلاص القلب لله وحده في جميع أعماله، أفرادًا وأسرًا ومجتمعات ودولًا، واجتماعًا واقتصادًا، وسياسةً، وحكمًا، وسلمًا، وحربًا، فتتجرد القلوب من الفواحش والمنكرات بأنواعها، تتجرد من الظلم، و الغل، والحقد، والتدابر، والتقاطع، والغش، والغيبة، والنميمة، والكبر، و الخبث، تتجرد من جرائم الاعتداء على دين الله، وعلى النفوس، والعقول، والأموال، والأعراض، وتلفظ المبادئ الخبيثة المدمرة، وتصفو القلوب لبارئها وحده ، وتسقط عبادة الطواغيت جميعًا، فتصلح كل الأعمال، وتخلُصُ وجهتُها لله رب العالمين لا شريك له.

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلن هذه الحقيقة موجزة مركزة؟ ويحذر من يخالفها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ *وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ *لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: 11 - 18].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلني وإياكم من هؤلاء الذين هداهم الله عز وجل وبهذا الأصل العظيم - العقيدة الصحيحة - تتميز دعوة الصدق إلى الإسلام عن غيرها من دعوات تُنسَبُ إلى الإسلام ويُرادُ بها الإصلاح، ولا تدخِل في حسبانها هذا الأصل الهام. لذلك نجد كثيرًا من الدعاة يُفنُون أعمارَهُمْ في معالجة قضايا فرعية جزئية في الإسلام جاهدين أنفسهم، وباذلين كل قدراتهم، ومُجَنْدين جميع قواتهم لينشروا دعوة لا تقوم على أساس العقيدة الصحيحة، فيجتمع



لديهم أخلاطٌ ممن يحملون عقائد زائغة متنوعة، وممن تذِلُ قلوبهم للطواغيت من الموتى، ومن الحجر، والشجر، والنحاس، والحديد، فضلًا عن الطواغيت من البشر الذين يخدعونهم بولايات زائفة، ويُرْهِبُونهم بشعوذاتٍ وضلالاتٍ، ويحرصون على صياغتهم صياغة يسيطر عليها الرعبُ والفزعُ، وصَبْغِهم صِبغةً تنافي الإسلام، ومن ثم لا يَقْوَوْن على إقامة أمة تجعل الدين كله لله، ولذلك حين تُمعِن فيهم النظر تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى، فلا تذهب معهم جهود الدعاة إلا أدراجَ الرياح.

بهذا الأصل العظيم - بالعقيدة الصحيحة - تميزت تلك المجموعة المؤمنة الذين عاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهلوا من المنبع الأصيل للوحي، وأخذوا من مشكاة من قامت الأدلة القاطعة على عصمته، وصرح الوحي السماوي بوجوب طاعته، وهو الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم: 4].

تميزت تلك الفئة المؤمنة التي أثنى الله تبارك وتعالى عليها في التوراة والإنجيل والقرآن، وسبق لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، إذ قال «خير الناس قرني» فلم يأتِ بعدهم أحد يساويهم في إيمانهم وأعمالهم وآرائهم، وكيف يساويهم وكان أحدهم يرى الرأي، فينزل القرآن بموافقته، كما رأى الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسارى بدر أن تُضرب أعناقهم، فنزل القرآن بموافقته ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: 67 - 68].

ورأى أن تُحجَبَ نساءُ النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل القرآن بموافقته ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب: 53].

ورأى أن يُتّخَذَ من مقام إبراهيم مُصَلًى، فنزل القرآن بموافقته ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: 125].

وقال لنساء النبي صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن في الغَيْرة عليه ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [سورة التحريم: 5]، فنزل القرآن بموافقته.



ولما توفي عبدالله ابن أُبَيّ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوبه، وقال يا رسول الله: إنه منافق، فصلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عليه موافقة قول عمر ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: 84].

بهذا الأصل العظيم - بهذه العقيدة الصحيحة - تخرّجَ أبطال من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلوا من الأعاجيب ما لم يَقْوَ عليه غيرهم، لقد حرصوا على الموت في سبيل الله حِرْصَ الناس على الحياة.

لقد انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون ودنوا من المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقام عُمير بن الحُمام الأنصاري رضي الله عنه وقال: «يا رسول الله: جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: «بخٍ بخٍ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟»، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة». فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل المشركين حتى قُتِلَ- رضي الله عنه -.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غِبْتُ عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع».

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين، ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ: الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحُد - قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، ومثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه - قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشياعه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: 23]. [متفق عليه].

وروى ابن إسحاق أن زيد بن حارثة في غزوة مؤتة سنة 8هـ قاتل براية رسول



الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم (أي سال دمه حتى مات)، فأخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها، فقطعت يمينه، فأخذ اللواء بشماله فقطعت، فاحتضن اللواء بعضديه حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

فأخذ اللواء بعده عبدالله بن رواحة، ثم تقدم وهو على فرسه يقول:

يـا نفس إلا تقتلي تمـوتي
هـذا حمام المـوت قد صَليتِ
ومـا تمنيت قـد أعطيتِ
إن تفعلـي فعـلهما هـديتِ

يريد صاحبيه زيدًا وجعفرًا فقاتل حتى قتل.

وهذا خبيبُ بن عدي في سرية الرجيع غدر به مع أصحابه بعد أن أوثقوه وصلبوه وقتلوه لم يجزع ولم يهن، ولم يستكن، بل أقدم على القتل في شجاعة وإقدام وهو يقول:

إلى الله أشكـو غربتي ثم كـربتي
ومـا أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فـذا العرش صبرني على ما يراد بي
فقد بضعوا لحمـي وقد يـاس مطمعي
وذلـك في ذات الإله وإن يشـأ
يبـارك على أوصـال شلو ممـزع
وقـد خيروني الكـفر والموت دونه
وقـد هملت عيناي من غير مجـزع
ومـا بي حـذار الموت إني لميت
ولكـن حـذاري جحم نار ملفع
فــو الله ما أرجو إذا مت مسلمًا
على أي جنب كــان في الله مصرعي
فـلست بمبد للعدو تخشعـًا
ولا جزعــًا إني إلى الله مرجعـي

هذه الصور المشرفة التي لا نجد لها في عالمنا اليوم مثيلًا، تلك الصور إنما هي



من آثار العقيدة الصحيحة التي ملأت قلوب أولئك الأصحاب الأبرار، رضي الله عنهم أجمعين.

إن العقيدة إذا سلمت سلم العمل والسلوك، وإذا فسدت فسد العمل والسلوك، ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة فيقول: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

وإذا تقرر أن العقيدة الصحيحة أساس سلامة العمل، فإنها كالطاقة للآلة، لا تندفع إلا إذا مُدت بهذه الطاقة، وتكون قوة حركة الآلة بقدر قوة الطاقة التي تحركها.

كذلك حركة الجسم نحو تنفيذ أمر الله تعالى تكون بقدر قوة العقيدة التي تحركه.

بناء المجتمع الفاضل:

وإذا أردنا أن نؤسس مجتمعًا نظيفًا تسوده العدالة، وتحكمه الفضيلة، وتختفي منه الجريمة، وتظلله الطمأنينة، ويتعاون أفراده على كل ما فيه خيره وصلاحه ينبغي أن نؤسسه على عقيدة صحيحة، تكون هي الدعامة لذلك البناء، وليست العقيدة الصحيحة ضرورية لبناء المجتمع الفاضل فحسب، بل هي ضرورية كذلك لبقائه سليمًا قويًا مترابطًا، لا تفسده المغريات والفتن، ولا تفت في عضده العقبات والمعوقات.

والإسلام العظيم منهج رباني متكامل، تقوم شرائعه وأحكامه على العقيدة الصحيحة، وتدور كلها حولها، وترجع في مسيرتها إليها، ولا يمكن أن يستقيم منها تشريع أو حكم، إلا إذا كان مؤسسًا على العقيدة الصحيحة، فهي التي تعطيه صفة الإلزام، وتجعله واجب الطاعة والاحترام.

ولذلك - كما أسلفنا - كان الإيمان بالله وتوحيده أول ما دعا إليه الرسل، وأول ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث ثلاثة عشر عامًا، لا هم له إلا تأسيس العقيدة والدعوة إليها، وتثبيتها في قلوب أصحابه، فلما هاجر إلى المدينة، ونـزلت آيات التشريع والأحكام وجدت القلوب المؤمنة مستعدة لتقبلها والإذعان لها.

وعلى هذا الأساس ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعًا فاضلًا، وكون أمة إسلامية استطاعت بعد ذلك أن تسود العالم، وأن تجعل كلمة الله العليا،



وكلمة الذين كفروا السفلى.

واقع المسلمين الآن:

إذا نظرنا إلى واقع المسلمين الآن، وجدنا أنه واقع مرّ أليم: ذلك أنّ حياة أغلب المسلمين إحدى صورتين:

إما حياة انحلال، وإما حياة بدع، وهذا يشمل الشذوذ الفكري، والخلقي، و العقائدي، والسلوكي:

1- **أما حياة الانحلال:** فتبدو في كثير من المسلمين الذين يُحصَوْنَ زورًا ضمن المسلمين، ذلك أن هؤلاء يكتفون بأنهم مسلمون بالوراثة وبشهادات الميلا د. لقد جهلوا الإسلام فعادَوْهُ، والإنسان دائمًا عدو ما جهل، فانتهز أعداء الإسلام هذه الفرصة واستحوذوا عليهم وغَزوْهم غزوًا فكريًا مخططًا، فغلّفوا لهم مبادئ الإلحاد بغلاف رقيق براق - سرعان ما يكشفه المؤمن الموحد المتفرس - وزينوا هذا الغلاف وزخرفوه، حتى انطلي على هذه المجموعة الجاهلة - وخاصة على الشباب الجاهل غير الواعي - فتقبلت قلوبهم الفارغة تلك المبادئ المدمرة، فوقعوا فريسة لها ولأصحابها، فكانت كالسم الذي يسري في الجسم، إن لم يتدارك أمره ويُحضر في مكانه سرى في الجسم كله فقضى عليه، لأن هذا السم سريع التسرب فتاك قاتل، تكون ضحيته تلك البنات الشابة التي نترقب انطلاقها، وحركتها الإصلاحية، وتوليها الأمر عن قريب.

ولو أن هؤلاء قد استقرت العقيدة الصحيحة في قلوبهم، لما وجدت تلك المبادئ الإلحادية فيها محلًا، لأن الموحد يلفظ قلبه كل مبدأ إلحادي انحلالي، إذ إن هذا المبدأ يعني الانسلاخ من العقيدة ومن كل القيم الدينية.

ومهمة المصلحين: أن يحاصروا هذه السموم الفتاكة في أماكنها، ويحاولوا استخراجها من مواضعها بمشارط الحق حتى تصفي منها دماء الشباب.

إن أصحاب المبادئ الهدامة لا يدعون المسلمين إلى الكفر صراحة، وإنما يبثون أفكارهم بين فئة من المنتسبين إلى الإسلام، فيقنعونهم بتعديل مناهجهم، وتكوين أنديتهم، وتشكيل منظماتهم، على نهج تطوري تقدمي، وفي أثناء إجراء هذا التشكيل وذلك التعديل، وبطرق ملتوية يلجأ إليها أعداء الإسلام إلى إدخال مبادئ الإلحاد، والتحلل من الدين شيئًا فشيئًا، بالتشكيك في أمور العقيدة ومسائل الدين، حتى تهون على تلك الفئة أمر دينهم، وتأخذهم بـ الشكليات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فإذا ما تركوا الجوهر، سهل على



أعداء الإسلام أن يملأوا قلوبهم وأفكارهم بما يريدون من فساد وانحراف وزيغ وضلال، ومن ثم وجدنا كثيرًا من شبابنا يسير إلى الهاوية تلقائيًا وهو لا يعي.

وينبغي على المصلحين أن ينتبهوا إلى هذا الغزو الفكري المدمر الذي يقلب حياة المسلمين إلى حياة إلحادية تناقض الإسلام، وذلك بأن يهتم هؤلاء المصلحون بالعقيدة الصحيحة، غرسها في قلوب المسلمين خاصة الشباب.

وإن تلك الفئة التي جرت وراء الملحدين، انحلت بلا شك كذلك من شريعة الله ، فاستحسنت النظم الوضعية بحجة أنها تتمشى مع تطور العصر، وتغير الأحداث، وطروء وقائع جديدة لم تكن موجودة من قبل، فآثرت هذه النظم على شرع الله تعالى، وأفتى لهم بحلّ ذلك الأئمة المضلون.

وهؤلاء الأئمة يجرون الناس بأقوالهم وأفعالهم إلى التحاكم إلى الطاغوت، وقد حكم الله على أولئك الذين يتحاكمون إلى الطاغوت بالكفر والظلم والفسق، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: 44].

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة: 45].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: 47].

واستنكر تعالى لجؤهم إلى الطاغوت ورضاهم بحكمه فقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: 50].

وكشف الله تعالى حقيقتهم التي يحاولون دائمًا أن يسدلوا النقاب عليها، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء: 60 - 63].

كذلك انحدرت هذه الفئة الغافلة مستهترة بشرع الله، فتركت مجموعةٌ كبيرةٌ منهم نساءهم كاسياتٍ عارياتٍ، تقليدًا أعمى لأعداء الإسلام، وتركتْهُنّ يختلِطْنَ بـ



الرجال، فكنّ فتنةً كبيرة لهم، ومَلأ ْنَ قلبوهم شهوة وضلالًا، وأفْسَدْنَ أعمالهم ، وأديْنَ إلى شر كبيرٍ، مَلأ ْنَ أرجاء البلاد.

والسبب في ذلك القوانين الوضعية التي شرعتها هذه الفئات الجاهلة وحكّمتها في شئون حياتها، وأعرضت عن شريعة الله تبارك وتعالى، فلم تصلح بتلك القوانين حياتها، وإنما أفسدتْ بها جوانِبَهَا، وعاشت عيشة ضنك وهوان.

مثال ذلك: القانون الذي يَحْكُمُ جريمة الزنى، فإنه لا يقرر عقوبة على طرفي الجريمة ما دام قد تم التراضي بينهما. ومن ثم فإن الطرفين حين يتوفر بينهما الرضا على ارتكاب جريمتهما، فإنهما يرتكبانها في أمن تام دون أن تنال العقوبة أيًا منهما.

ولا يعاقب القانون إلا في حالة الإكراه، وحالة الخيانة الزوجية. أما في حالة ا لإكراه فإن من أكْرَهَ أُنثى على إتيانها بغير رضاها عوقب عقوبة السجن لفترة محدودة.

وأما حالة الخيانة الزوجية: فإن الزوج الذي يرتكب جريمة الزنى في داخل بيت الزوجية يُعَاقَبُ على خيانته الزوجية، لا على ارتكابه جريمة الزنى في بيت الزوجية، أما إذا ارتكب أحدهما جريمة الزنى خارج بيت الزوجية، فلا يناله عقاب القانون.

ورغم ذلك فإن للزوج حق العفو عن زوجته، التي خانته في بيت الزوجية إذا قدمها إلى المحاكمة، في أي مرحلة من مراحل الدعوى، وحتى بعد الحكم عليها ودخولها السجن، فتخرج منه معززة مكرمة. كذلك للزوجة حق العفو عن زوجها ، الذي خانها في بيت الزوجية إذا قدمته إلى المحاكمة. في أي مرحلة من مراحل الدعوى، وحتى بعد الحكم عليه، ودخوله السجن، فيخرج منه معززًا مكرمًا.

وهكذا يعيش الزاني مع الزانية - وصدق الله العظيم القائل:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: 3].

ولو أن هؤلاء قد فهموا العقيدة الصحيحة، واستقرت في قلوبهم، لراقبوا الله سبحانه وتعالى في كل حَرَكَةٍ وَسَكَنَةٍ، ولكنهم راقبوا القانون، إنهم خافوا من القانون الذي وضعه البشر، وخاف الزوج من الزوجة، وخافت الزوجة من الزوج، وحرص كل منهما على أن لا يراه الآخر وهو يرتكب جريمة الزنى، ولم يخف أحد



منهما من الله رب العالمين، لأن قلبه قد خلا من العقيدة الصحيحة التي تُبَصِّرُهُ بحدود الله جل وعلا، وتُوقِفه يقينًا عند كل حدّ منها، فَهَامَ كل منهما على وجهه، وانجرف مع تيارات الإلحاد والانحلال، ودمّرَ كلّ القيم الدينية.

وهكذا الشأن في القوانين التي تحكم الجرائم الأخرى من قتل، وردة، وسرقة، وقذف، وقطع طريق، وسُكرٍ وغير ذلك، فكلها عُطِّلَ فيها حكم الله، وأُعْمِلَ فيها حُكْمُ الشياطين الذين ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى: 21].

2- وأما حياة البدع: فتظهر واضحة بين أغلبية المسلمين على وجه الأرض، فقد استهانوا بأمر البدع، وقالوا: هذه بدعة حسنة، وهذه بدعة خفيفة، وهذه بدعة لا تؤثر كثيرًا في أصل الدين، وما إلى ذلك من التعللات السخيفة، حتى تجمعت بدعٌ وبدعٌ، وصار دينُهم بِدَعًا، وعاشوا حياتهم على البدع، وصاروا لا يفهمون الدين إلا أنه هذه البدع.

ومن ثم أصبحوا لا يميزون بين الحق والباطل، ولا يفرقون بين الطيّب و الخبيث، وإنما لُبسَ عليهم الأمرُ وخُلِطَ عليهم، لأنهم فقدوا فُرْقَانَ المؤمنين الذي أشار إليه الله جل وعلا في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال: 29].

والذي تستقر في قلبه العقيدةُ الصحيحةُ يجعل الله تعالى في قلبه فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل، ويستطيع أن يحس إحساسًا مُرْهَفًا أن هذا الحق، وأن هذا باطل، مما استقر في قلبه من عقيدة التوحيد.

ولذلك فإن من فضل الله تبارك وتعالى ونعمته على الموحدين أنهم يستطيعون أن يكشفوا الشخص الخُرافِي في دقائق، فيعرفونه بسيماه، ويعرفونه في لحن القول.

ومن ثم فإن العقيدة الصحيحة مهمةٌ جدًا لكل مسلم، إذ ينشأ عنها كل إصلاح وخير. وإذا نظرنا إلى العلماء اليوم، وجدنا أن أكثرهم قد هَانَ عليهم أمر العقيدة، ولم يرشدوا الناس إليها، واعتبروا أن دعوة الناس إليها ينفرهم، ويفرّق جمعهم، لذلك يلجأون إلى غيرها من أمور الدين التي ينبغي أن تُبنَى على العقيدة بزعم أنهم يهدفون إلى جمع الناس أيًا كانت عقائدهم، فإذا تم جمعهم وتكون مجتمع إسلامي منهم، بدأوا يصححون عقائدهم.

وهذا اتجاه غير سليم، لأننا عرفنا بما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذًا إلى اليمن أمره أن يبدأ دعوته بالتوحيد، فإن استجاب القوم له،

أمرهم بعد ذلك بالتكاليف التي تُبنَى على العقيدة ومن أولها الصلاة.

ومن ثم فإن الذين لا يبدأون دعواتهم بالعقيدة، لا يكون لدعواتهم أثر عظيم في الإصلاح، لأن المهم في الإصلاح أن يصلح ما استقر في القلب أولًا، فإذا لم يصلح ما استقر فيه، فسدت جميع الأعمال كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

والحقيقة التي لمستُها في زياراتي للمسلمين في بلاد العالم المختلفة من المشرق إلى المغرب، هي أن الدعاة الذين لا يحملون العقيدة الصحيحة ولا يدعون المسلمين إليها، لا أثر لدعواتهم يذكر، بل إن الذين يدينون منهم بدين الصوفية قد لبّسُوا على المسلمين وخلطوا عليهم أمور دينهم، وأفسدوا عليهم عقيدتهم، حتى أصبح المسلمون في حالة يحزن لها قلب المسلم الحق.

إنني أذكر أنه لما ابتعثني الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة حين كنت أستاذًا بها - إلى غيانا بأمريكا الجنوبية عام 1394هـ كان أول سؤال سُئِلتُهُ (ما رأيك عن الصوفية؟) ووجدتُ أن أكثر المسلمين هناك يقتنون كتب بعض الصوفية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية مثل طبقات الشعراني، وحياة الجيلاني، ويعكفون على قراءتها، ويتركون كتاب الله، فمثل هذه الكتب أفسدت قلوب المسلمين وعقيدتهم، وبَلبَلَتْ عليهم عقولهم، ولهذا ينبغي أن نلفت عنها المسلمين خاصة الشباب، الذين يَطلُبُ منهم الإسلامُ أن يملأوا قلوبهم أولًا بـ العقيدة الصحيحة. كي تصحَ أعمالهم الصالحة التي تُبنَى عليها.

إن الشباب إذا ملأت قلوبهم العقيدةُ الصحيحةُ اطمأننا عليهم، فمهما ألقينا بهم في أي مكان، كانت العقيدة الصحيحة سياجًا منيعًا تدفع أيّ مبدأ انحلالي هدام يحاول التسرب إلى قلوبهم، فلا تجد المبادئ المدمرة موضعًا في قلوب الشباب تحيا فيه.

إن هؤلاء الذين تركوا أمر العقيدة، واستهانوا بشأنها، يعبدون الله على حرف كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [سورة الحج: 11].

ومن أمثلة تهوين شأن العقيدة ما يزعمه الصوفية من أن المسلم إذا سلك طريقهم، وسار على دربهم، بلغ درجة معينة، يسقط عنه فيها التكليف،



ويصلون إلى مرحلة الكشف والمشاهدة، بمعنى أن الله تعالى يكشف لهم اللوح المحفوظ، فيقرأون فيه ما كان وما سيكون، ويرون الله رأي العين في الحياة الدنيا، ومن ثم يمكن أن يكلموه وكلمهم مباشرة، ويأخذوا العلم عنه سبحانه دون واسطة بما أطلقوا عليه (العلم اللدني)، وما إلى ذلك من ضلالهم، وتحديهم للنصوص القاطعة في الكتاب والسنة. فضلًا عن ذلك فإنهم يخدعون المسلمين بما يزعمون أنهم أولياء تحدث لهم خوارق يكرمهم بها الله تعالى، مثل الطير في الهواء، والسير على الماء، ويدعون الأولياء والصالحين من الأحياء، ومن الأموات الذين يعكفون على قبورهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات إنهم يخدعون المسلمين بذلك ويأتون من الأعمال التي تعتمد على كثير من الشعوذة والدجل، ما ينخدع به أولئك الذين خلت قلوبهم من عقيدة التوحيد.

وإنني لتجولي بين المسلمين في أغلب بلاد العالم، قد وجدتُ - بما أُقدِّر - أن ما يقارب ثلاثة أرباع المسلمين يدينون بالتصوف، ويتخذونه نهج حياة أبْعَدَهُمْ عن نهج الإسلام الحق الذي أرسى مبادئه على منبعيه الصافيين: الكتاب والسنة.

وليس يهم في الإسلام الكم، بل إن الكيف هو الذي يعوّل عليه الإسلام. يقول تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنفال: 65].

ويقول جل ذكره: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: 66].

ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن الأمم سوف تتداعى عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، سألوه: «أمِنْ قِلةٍ نحنُ يومئذٍ؟» قال لهم: «لا إنكم يومئذٍ كثير، ولكنكم غُثَاءٌ كغُثَاء السيل».

ولو أننا نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم، لوجدناهم حقًا غثاء كغثاء السيل، لا شخصية لهم بين أمم العالم، التي - مع أغلبيتها الكافرة الملحدة - بلغت شأوًا عظيمًا في التطور والحضارة المادية، بما لم يبلغ منها المسلمون شيئًا يذكر.

والذي يجول في بلاد الشرق والغرب على سواء يلمس حقيقة هذه الحضارة وذلك التطور في وضوح لدى أعداء الإسلام، كما يلمس أن المسلمين في هذا المجال - في مؤخرة ركب الأمم، فلم يصلوا إلى كسب الدنيا ولا كسب الآخرة، وعاشوا هكذا فعلًا غثاء كغثاء السيل، وإذا بحثنا عن سبب ذلك وجدناه تركهم لأساس الأول الذي تبنى عليه كلّ الأعمال، ذلك هو العقيدة الصحيحة التي



ينبغي أن تمتلئ بها القلوب، ولذلك تحركت أجسامهم حركات فاسدة، فأنتجت نتائج فاسدة، وكانت كل أقوالهم وأعمالهم مخالفة لأمر الله تبارك وتعالى، وأصبحت حياتهم حياة غفلة، واستحكم الهوى في القلوب، فاستمتعوا بملذات الحياة، ولم تعد الدنيا عندهم سوى ما قال قائلهم:

إنمـــــا الدنيــا طعامٌ
وشـــــرابٌ ومــنام
فـــــإذا فـَـاتكه ذا
فعلـــــى الدنيــا السّلا َم

وعاشوا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام. وصاروا كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 179].

والدليل على الغفلة الشاملة التي طغت على أكثر المسلمين أنهم مجدوا وقدسوا كتبًا لا تستحق إلا أن تحرق وتباد لما حوته من كفريات وشركيات طمست معالم الإسلام، منها كتاب إحياء علوم الدين للغزالي الذي سمي صاحبه (حجة الإسلام)، فقد أورد فيه مؤلفه أشياء منكرة، لا يقبلها عقل مسلم فضلًا عن موحد، من هذه الأشياء ما ذكره في الجزء الرابع صفحة 358 بقوله: «حكي أن شاهدًا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد البسطامي، فقال يومًا: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم ولا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئًا، وأصدق به وأحبه، فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة؟ - قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم، قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب الآن إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك، وانـزع هذا اللباس، واتزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزًا، واجمع الصبيان حولك، وقل: كل من صفعني صفعة أعطيه جوزة، وادخل السوق، وطف بالأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك، وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله، تقول مثل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك سبحان الله شرك. قال: وكيف؟، قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره، فقال: ابتدئ بهذا قبل كل شيء، فقال: لا أطيقه، قال: قد قلت لك إنك لا تقبل».



ومع هذه الحكاية التي يسوقها الغزالي في كتابه التي لا يقبلها عقل، يعلق عليها بقوله (فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو جزاء من اعتل بنظره إلى نفسه)، ولا ينكر منها شيئًا.

ومن هذه الكتب المضللة كذلك كتابا الفتوحات الربانية، وفصوص الحكم لابن عربي، الذي ضمنها عقيدة وحدة الوجود التي تعني أنه لا موجود في الكون إلا الله، فعبر عن ذلك بقوله:

ومــا الكلب والخنـزير إلا إلهـــنا
ومـــا الله إلا راهـبٌ في كنيسته

وبقوله:

العبـــدُ ربٌ والــربُ عبـد
يـــا ليت شِعـْري من المكلف؟
إن قلت عـــبدٌ فــذاك ربٌ
وإن قلـــت ربٌ أنـّي يكلف؟

وبقوله:

فـــوقتًا يكون العبدُ ربًا بلا شك
ووقتـــًا يكون العبد عبدًا بلا إفك
فإن كـــان عبدًا كان بالحق واسعـًا
وإن كـــان ربـًا كان في عيشة ضنك

هذا فضلًا عن تشويه ابن عربي حقائق الإسلام، فيسوي بين الجنة والنار في قوله:

وإن دخـــلوا دار الشقـاء فإنهم
على لـــذة فيها نعيـــمٌ مباينُ
نعيـــمُ جنان الخلد فالأمـر واحد
وبينهمـــا عند التجـــلي تباينُ
يسمـــى عذابـــًا من عُذُوبةِ طعْمِهِ
وذاكَ لـــه كـالقشر والقشرُ صاينُ

وإذا اختلطت المعاني هكذا عند ابن عربي وغيره، وكان الرب والعبد سواءً، و الجنة والنار سواءً، فلماذا كانت الرسالات؟ ولماذا أُرسِلَ الرسلُ؟

ولماذا جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثًا وعشرين سنة؟ ولماذا كانت الغزوات؟ ولماذا كان هذا الجهد والتعب؟ ولماذا كانت العبادات؟ ولماذا كان



الثواب والعقاب؟ ولماذا كانت الجنة والنار؟

بهذه الأفكار الضالة، والاتجاهات الزائغة المنحرفة تضيع معالم الإسلام، وتشوه مبادئه عند المسلمين، ويجد أعداء الإسلام منها ثغرات يدخلون منها للطعن على الإسلام، وإظهاره بمظهر الدين المتخلف الذي لا يجدي في هذه الحياة فتيلًا.

هذا الذي ذكرته شيء قليل جدًا من الكثير الكثير، الذي حوته تلك الكتب الخبيثة التي يتفطر قلبي منها، ويذوب مما حملته من كفر صريح، الأمر الذي يجعل المسلمين في حيرة، ويؤكد أنهم في أمس الحاجة، وأشد التلهف إلى من يشرح لهم الإسلام، ويعرضه عليهم عرضًا سليمًا.

إن معظم العلماء سكتوا عن هذا الأمر، وأنا أتساءل: ما الذي يتملكهم هذا الخوف وهم يزعمون أنهم دعاة إلى دين الله؟ إن الله تعالى يصف دعاته المخلصين حقًا فيقول: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب: 39].

لماذا لا يخشى أولئك الصادقون الموحدون أحدًا إلا الله؟ لأن العقيدة الصحيحة استقرت في قلوبهم، فلم يندفعوا إلى أي عمل - ومن ذلك الدعوة إلى الله تبارك وتعالى - إلا بما يوافق شرع الله عز وجل.

ولما سكت معظم العلماء عن البدع والخرافات التي استشرى شررها، وانتشر فسادها بصورة خطيرة جدًا، وأصبح المسلمين في حالة يُرْثى لها.

إن أعداء الإسلام ينتهزون مثل هذه الفرص، وكثيرًا ما انتهزوها - فركزوا جهودهم للاستيلاء على بلاد المسلمين، وتمزيق بلادهم، والتفريق بينهم، حتى جعلوا المسلمين - كما نرى - فرقًا تسير حسب أهوائهم، وتحرك حسب مصالحهم، فاستسلم المسلمون لواقعهم، فأصبحوا صورًا باهتة هزيلة لا كيان لها ولا أثر لها في ركب المجتمع العالمي.

ورغم هذا الهون الذي عم أغلبية المسلمين، فإن قلة منهم لا تزال في كل عصر تقوم على الحق مستمسكة به داعية إليه، هي التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى». [أخرجه الإمام مسلم عن ثوبان].

وقد بيّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم مدى الافتراق الذي سيصيب الأمم المختلفة فقال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى



على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة - قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: هي التي على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي». معنى ذلك أن الفرقة التي تتمسك بالكتاب والسنة وتدعو إليهما هي الفرقة الناجية، يأخذون منهما عقيدتهم، فيبثوا عليها بعد ذلك كل أمورهم، وإذا صحت العقيدة، تحرك الجسم إلى كل ما رضي الله تعالى، وإذا فسدت العقيدة، تحرك الجسم إلى كل ما يسخط الله عز وجل.

ومن ثم فقدت أوامر الله تعالى في البيت الذي فقدت فيه العقيدة الصحيحة، فتجد الأسر التي تدعي الإسلام - منهارة، فالمرأة لا تخاف الله عز وجل، ولا تحسب له حسابًا، فإذا خرج زوجها إلى عمله، خرجت بعده دون علمه إلى حيث تهوى، وإلى حيث تهوي، والأبناء لا يخافون الله تعالى، فانكبوا على المنكرات، واستمتعوا بالشهوات، وساروا كقطعان الأغنام إلى حيث لا يعلمون.

والمجتمع كذلك - وهو مكون من مجموعة أسر - قد فقد - ككل - الخوف من الله تعالى، وبهذا لا يرى في أغلب أحوال المسلمين - إلا أفرادًا منهارين، وأسرًا منهارة، ومجتمعًا منهارًا.

ولا يمكن أن يتحول حالنا، وتصلح أمورنا، ويتغير مجتمعنا، ولا يمكن أن نرى الطبيب المسلم الحق المخلص في علاجه، ولا المهندس الحق المخلص في تخطيطه وتصميمه، ولا المدرس المسلم الحق المخلص في تدريسه، ونصح أبنائه، ولا الموظف المسلم الحق المخلص في وظيفته، ولا الرئيس المسلم الحق المخلص العادل في رئاسته، ولا أي عامل مسلم حق الإسلام في المجتمع الإسلامي يتقن عمله ويخلص فيه، ويراقب الله تعالى في كل خطوة يخطوها وكل سكنةٍ يسكنها إلا إذا أسست أولًا في قلبه العقيدة الصحيحة.

وبدون تأسيس هذه العقيدة الصحيحة في القلوب، فإنه من المستحيل أن يوجد فرد مسلم حقيقي، ولا أسرة مسلمة حقيقية، ولا مجتمع مسلم حقيقي، ومن قرر غير ذلك، فإنما يقرر زيفًا وزورًا.

وعلى ذلك نرى أن العقيدة الصحيحة لها أثر عظيم، ولولا هذا الأثر، ما أنزل الله بها الكتب، وما أرسل بها الرسل وجعلها بداية دعواتهم بأن يقولوا لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: 59].

ولذلك ينبغي على كل مسلم أن يهتم عظيمًا جدًا بالعقيدة، ولا يتصور أن أمر العقيدة أمر هين لا يستحق الاهتمام - ذلك أن المسلم لا يمكن أن يندفع إلى أي



عبادة فتصح وتقبل عند الله إلا إذا أسست على العقيدة الصحيحة.

فمثلًا: لا يمكن أن يجاهد المسلم في سبيل الله فيصح ويقبل جهاده إلا إذا استقرت في قلبه العقيدة الصحيحة - عقيدة التوحيد - حتى يعرف لمن يجاهد.

فإذا جهل لمن يجاهد، فلمن يجاهد؟ أيجاهد للحديد والنحاس والخشب و الحجر والشجر؟ أم يجاهد للموتى؟ أم يجاهد للطواغيت من البشر؟ لابد أن يجاهد لرب يعرفه، لرب يشعر أنه رب، وأنه عبد، لابد أن يجاهد لرب يعرفُ ويؤمن أنه الخالق، البارئ، المصور، الرازق، المحي، المميت، المعطي، المانع، المدبر، لأمر هذا الكون كله، الذي تسَمّى بجميع الأسماء الحسنى، واتصف بكل الصفات العليا وأنه لا ينبغي أن يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له سبحانه وتعالى. يجب إذن على المسلم أن يجاهد في سبيل رب يعرفه، إذ من العار العظيم جدًا أن يجاهد في سبيل إله يجهله.

وهكذا كل العبادات لابد أن يوجهها المسلم إلى إله يعرفه ويؤمن به، وتملأ قلبه عقيدة توحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته.

ومن ثم إذا أردنا أن نقيم دولة إسلامية تسودها الفضيلة، وتظللها العدالة، ويسيطر عليها الأمن، ويتآخى فيها أفرادها ويتحابون، وتختفي فيها الجرائم بأنواعها، فإنه ينبغي أن تقيمها على أساس العقيدة الصحيحة، فينطلق منها كل خير وإصلاح، ذلك بأن العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد - هي المنطلق لكل إصلاح.

كيف يتم إصلاح العقيدة؟

ولإصلاح العقيدة التي تؤسس عليها الدولة الإسلامية يجب أن نقوم بما يأتي:

1- أن نـزيل من قلوب المسلمين هذا الحشد الضخم من التصورات الفاسدة و الرواسب العفنة التي خلفها علماء الكلام وورثها عنهم جيلٌ بعد جيل، وشحنت بها كتبهم، ولا تزال تدرس في مدارس ومعاهد وجامعات المسلمين، فصرفتهم عن العقيدة الصحيحة.

2- أن نعود سريعًا إلى ما كان عليه خير قرون هذه الأمة التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». الذين أخذوا العقيدة من نبعيها الصافيين: الكتاب والسنة، ولم يتلاعبوا بالنصوص بتحريف أو تأويل، بل أخذوا ما دلت عليه من معان، وسلموا فيما وراء ذلك من الكيفيات التي لا مجال لإعمال العقول فيها.



3- أن تؤمن إيمانًا جازمًا بأن كل ما يتعلق بالعقيدة إنما هو في الكتاب والسنة ففيهما الكفاية والشفاء، ومن لم يستغن بهما، فلا أغناه الله.

4- أن نؤمن إيمانًا جازمًا كذلك بأن الله جل وعلا لم يكلنا في معرفته، وفي توحيده، وفي كل قضايا العقيدة إلى عقولنا، وسبب ذلك أن هذه أمور غيبية لا سبيل إلى إدراكها بالعقل وحده، بل تؤخذ من الوحي المعصوم، ولا وظيفة للعقل فيها البتة إلا فهم ما دلت عليه النصوص الواردة فيها. ومن ثم يتبين شدة خطأ المثل الشهير الذي تلوكه ألسنة عوام المسلمين: «ربنا عرفوه بالعقل»، وتصحيح هذا المثل أن يقال: «ربنا عرفوه بنصوصه في الوحي، وآياته في الكون، وهدايته العقل للتدبر والفهم».

ومن يستند على العقل وحده فقد ضل ضلالًا بعيدًا.

5- أن نؤمن أيضًا إيمانًا جازمًا أن العقيدة الإسلامية الصحيحة قبل ظهور الفرق والخلافات كان المسلمون الأوائل - على تفاوت في ذكائهم ومعارفهم يدركونها لبساطتها ووضوحها، وأنه ما أزال بساطتها ووضوحها إلا تعقيدات المتكلمين وإغراقاتُ المتصوفة التي عسرت فهمها، وطمست بيانها، وشوهت جمالها، فصدت عنها المسلمين دهرًا طويلًا.

6- أن تؤمن إيمانًا جازمًا أيضًا أن نهج السلف الصالح - أهل السنة والجماعة - هو نهج الفرقة الناجية التي ينبغي أن يسير عليه كل مسلم، وأن منهله ليس إلا الكتاب والسنة، وأنه النهج الوسط بين الإفراط والتفريط، الذي جنح إليهما أهل الزيغ والضلال من هذه الأمة، في باب صفات الله تعالى، وفي باب أفعال الله سبحانه وأفعال العباد، وفي باب وعيد الله، وفي باب أسماء الإيمان والدين، وفي باب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عزة الموحد وقوته:

إن الموحد بما استقر في قلبه من عقيدة صحيحة يشعر بعزة يمده بها الله تبارك وتعالى الذي يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون: 8].

إنه يشعر بعزة في كل أمره، في حركاته وسكناته. لهذا فإنه لا يذل لغير خالقه سبحانه، ولا يتملق الناس ولا ينافقهم، ولا يداهن في أي أمر من أمور حياته، لأ



أنه يحس بأن الناس جميعًا - مهما علت مراكزهم في الحياة الدنيا - عباد الله، كما أنه عبدالله، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، فلا مناصب، ولا أنساب، ولا جنسيات، ولا مظاهر، ولا أي عرض من أعراض الدنيا يزن عند الله تعالى - دون القوى - شيئًا، يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: 13].

إنّ الموحد يؤمن بأن رزقه مكفول كفالة تامة لدى خالقه الذي أكد ذلك في قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [سورة الذاريات: 22 - 23].

وفي قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)﴾ [سورة الذاريات: 56 - 58].

كما يؤمن الموحد أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يمنعوه رزقًا قدره الله له، أو على أن يجروا له رزقًا لم يقدره الله له، فإنهم لن يبلغوا من ذلك شيئًا.

فضلًا عن ذلك فإنّ الموحد يشعر بقوةٍ وشجاعةٍ وإقدامٍ تدفع إليها جميعًا ما استقر في قلبه من عقيدة صحيحة، لذلك يصدع بالحق، لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يهاب الناس وما جمعوا له كيما يبطشوا به، لأنه يؤمن بقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران: 173].

لذلك نجد الموحدين في شجاعتهم - لا ينالهم - بحول الله - من أعداء الله سوءٌ، لأنهم لم يستسلموا لما يخوفهم به أولياء الشيطان. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: 174].

إنّ الموحد يحس أنه أقوى - بحول الله تعالى وقوته - من غيره ممن لم تمتزج العقيدة الصحيحة بقلبه، وأشدّ بأسًا، لذلك يتحداه دائمًا بالحق مما أن-زل الله، فيدمغ به باطله فإذا هو زاهق.

وقد ضرب الله جل وعلا لنا أمثلة رائعة في كتابه الكريم يؤكد عزة المؤمن الموحد وقوته وتحديه لعدوه - منها-:

1- ما ذكره تعالى عن نوح عليه السلام حين دعا قومه إلى توحيد الله عز



وجل، فلم يستجيبوا له وسخروا منه، فرد عليهم بقوة متحديًا: ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39)﴾ [سورة هود: 38 - 39].

وكانت عاقبة ذلك أن نجى الله رسوله والمؤمنين به، وأهلك أعداءهم ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48)﴾ [سورة هود: 48].

2- وما ذكره تعالى عن هود عليه السلام حين دعا عادًا - قومه - إلى توحيد الله تعالى - وكانت عاد عاتية وصفها الله جل وعلا بأنها: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [سورة الفجر: 8].

فردوا دعوته في استهتار وقحة، فتحداهم في صرامةٍ وعنفٍ ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)﴾ [سورة هود: 54 - 56].

وكانت عاقبة ذلك أن نجى الله رسوله والمؤمنين به ودحر أعداءهم ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60)﴾ [سورة هود: 58- 60].

3- وما ذكره تعالى عن صالح عليه السلام حين دعا قومه إلى توحيد الله تعالى، فشكوا في دعوته وردوها وعقروا الناقة تحديًا، فلم يهن أمامهم، بل هددهم في قوة قائلًا: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65)﴾ [سورة هود: 65].

وكانت عاقبة ذلك أن نجى الله رسوله والمؤمنين به ودمر أعداءهم ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (68)﴾ [سورة هود: 66 - 68].

4- وما ذكره تعالى عن شعيب عليه السلام حين دعا قومه إلى توحيد الله جل وعلا، فردوا دعوته وأهانوه وهددوه، فرد عليهم متحديًا في صلابةٍ وعنفٍ



منذرًا {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93)} [سورة هود: 93].

وكانت عاقبة ذلك أن نجى الله رسوله والمؤمنين به وأهلك أعداءهم {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)} [سورة هود: 94 - 95].

5- وما ذكره تعالى عن قوم فرعون حين هددهم فرعون بقوله: {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)} [سورة طه: 71].

فرد عليه القوم في صرامةٍ وإيمانٍ وعقيدةٍ وتحدٍ {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)} [سورة طه: 72 - 76].

وكانت عاقبة ذلك أن نجى الله رسوله والمؤمنين به وأهلك فرعون وجنوده في البحر غرقًا {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)} [سورة طه: 77 - 80].

إلى غير ذلك من الأمثلة الرفيعة التي تظهر مدى اعتزاز المؤمن بالله عز وجل وقوة إيمانه التي تدفعه إلى أن يتحدى - بالحق - أعداء جميعًا، لا يخشى منهم عَنَتًا ولا رَهَقًا، مهما أعدوا لحربه من عُدَدٍ، وجمعوا من جموع.

وهكذا كان المؤمنون الموحِّدون على قدرٍ عظيم من القوة بما استقر في قلوبهم من العقيدة الصحيحة - عقيدة التوحيد - التي تتحطم دونها الجبال.

ومن ثم أصلحوا في الأرض، وتركوا آثار الإصلاح التي يتوارثها جيلٌ بعد جيل.



وإن هذه العقيدة يقوم عليها في كل عصر طائفة من المؤمنين بها، الثابتة قلوبهم عليها، لا يزحزحهم عنها دعاة الباطل، والمؤمنون به مهما بلغوا من العُدّة والعدد، وإلى هذا المعنى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ثوبان بقوله: «ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خَذَلَهُمْ حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من هذه الطائفة، وأن يُثَبِّتَ قلوبنا على عقيدة التوحيد، وأن يجعلنا من الملتزمين بها الداعين إليها ما حيينا، وأنا يميتنا عليها ويجعلها لنا خير ختام.

كما أسأله تبارك وتعالى أن يجعلنا مع أعظم رَفْقَةٍ، رُفقة النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا وصلى الله على عبده الكريم ورسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

7 صفر 1397هـ

سعد ندا

المدرس بالجامعة الإسلامية